الرَّقِيقَةُ الخَامِسَةُ والأَرْبَعُون

خالد فهمي

دار البشير
للثقافة والعلوم

obeikan.com

الدَّقِيقَةُ الخَامِسَةُ والأَرْبَعُون

خالد فهمي

التنسيق الداخلى والإخراج: إسلام الحماقي - 01156292096

الطبعة الأولى

2015

رقم الإيداع: 2015/9401

ISBN : 978 - 977 - 278 - 484 - 4

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر فقط وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أى جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر

دار البشير

للنشر والتوزيع

ت: 01152806533

01012355714

darelbasheer@hotmail.com

darelbasheeralla@gmail.com

دار البشير للثقافة والعلوم

openkan.com

الدَّقِيقَةُ الخَامِسَةُ والأَرْبَعُون

obeikan.com

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إليها!

خالد فهمي

obeikan.com

obeikan.com

(١)

بقايا حلم من ليلة شتاء!

ألقى بجسمه في نهر الشارع الذي بدا خاليًا مكتظًا معًا.

كانت روحه متعبة جدًّا

وكانت نفسه متألمة حزينة

وكانت أعضاؤه جميعًا مستنفَرَة من الإرهاق.

توارت وسامته المعهودة خلف أحمال السنين التي يحملها

كأنما كان عائدًا من جنازة ابتعدت المقابر فيها، وقبعت هناك في نهاية طريق ترابي طويل جدًّا.

كانت الليلة تبدو عادية لا تختلف عن كثير غيرها.

مرت سنون طويلة بلا تغيُّر

ولكن صباحها الذي أسفرت عنه بدا مختلفًا.

كانت السماء ترمي بزخات المطر، وكان المطر غريبًا؛

إذ وجد أرضًا وشجرًا ممتنًّا له.

obeikan.com

استقبلت الأرض والشجر المطر،

وبدت الأشجار خضـراء يزداد زهره، وينتشر عطره!

ومرت ساعات وبدت الروح التي أرهقتها أحزان السنين

تلتقط شعاعًا من نور بهجة لم يكن مألوفًا من قبل.

كانت الأشجار تنمو بسـرعة مدهشة،

وتتكاثر بكثرة عجيبة

وتتلاصق كما يتلاصق المحبون، ولا يزعجهم الزحام!

انتعشت نفسه، وازدهرت ملابسه التي طالما غمرتها الأتربة واختلط بها العرق

عاد إلى بيته بعد وقت قصير،

ارتمى على سريره الذي ما عاد يئنُّ كما كان قديمًا،

وفجأة هبت عاصفة من السموم، وتوقف المطر، وجفت الأرض وتشققت، وانتشرت الأفاعي، وذبلت أشجار كانت خضراء،

واستيقظ من نومه في ذكرى ليلة الشتاء، والصباح ما يزال غائبًا!

***

obeikan.com

(٢)

زخة مطر

يلمع القمر في السماء،
وينسكب ضوؤه في القلوب،
وتتلقف العيون أشعته، وتنطلق.

تتراقص أجسام لا تستصحب الإرهاق، ولا ينال من نشاطها شيء من تعب، ولا يوقفها سوء الطريق.

تهدر أصواتها بأصوات مطربة، ممتعة، تبهج الروح، وتنعش النفس.

وهو بوجهه المشرق، من أثر الوضوء بما يترقرق من مزن السماء، يطير،

يشعر أنه يملك الوجود،

يصدح بما سكن عقله منذ زمان بعيد،

صادق اللهجة، ناشط العزمة،

يناديها، فتقترب منه،

تضع يدها في يده،

تلمع عيناها بفيض من حنان،

obeikan.com

ترق حتى لكأنما تذوب كما يذوب العاشقان ساعة يلتقيان،
يرتمي في أحضانها الممتدة بطول النهر،
تبتسم
تعود تشدو من جديد!

***

obeikan.com

(٣)

عند النهر

استيقظتُ فجرًا، وخرجتُ إلى الشرفة، كأنما انخرطت في صلاة طويلة، سكبت في روحها، نقاءً عجيبًا، كسا ملامحَها وضاءةٌ من نوع جديد،

كانت ترتدي ثوبًا منسوجًا من نجمات السماء في الليالي الصافية،

فتحت صدرها، وملأته بدفعات عريضة من نسمات الصباح البارد المنعش النقي الذي تحبه،

ثم دخلت؛

لتصنع قهوتها المخففة التي تتمنى دومًا أن ترتشفها مع حبيبها كلما سمح الوقت بذلك.

ألقت نظرة على وجهه وهو نائم،

وتمنت أن تتوقف عقارب الساعة، حتى لا تنقطع هذه اللذة التي تأتيها من ملامح وجهه الوسيم الذي يسبح في براءة متناهية لا تفارقه!

obeikan.com

تمنت لو طبعت قبلة على جبينه،

أو أنها شبكت أصابعها في أصابعه، وضغطت عليها؛ لتنقل إليه كل مشاعرها التي تفيض في قلبها،

ثم نزلت،

لتجده عند النهر،

يرفع الماء؛ ليغسل ما تناثر على الطريق من الدماء!

***

obeikan.com

(٤)

ابتسامة

كانت منكفئة على نفسها،
تبكي ما فقدته،
وسقط منها،
وكانت غارقة في أحزان تراكمت،

وأثقلت كاهلها،

كانت ممددة على أرض الغرفة، تئن من وجع السنين،

ويزيد من آلامها غياب الشمس، وانتشار الهواء العطِن الذي يزكم أنفها الدقيق الجميل الذي يعكس أصولها العريقة الراقية، والذي ترك آثاره المَرَضية على شفتيها الذابلتين، اللتين ما زال يسكن فيهما نوع جمال قديم، وبقايا حمرة لم تستطع أن تمحوها الأيام والآلام،

وعندما تقوم لا تقوى قدماها على أن تحملها!

ثم سمعت صوته من بعيد،

تحاملت،

وخرجت صوب الصوت،

obeikan.com

التقت عيناها اللامعتان الحانيتان بعينيه الجريئتين.

حملها بين ذراعيه،

وضمها إلى صدره.

سمعت دقات قلبه تتعالى باسمها.

قبَّلت جبينه،

طبعت على وجهه ابتسامة من رضى،

وكان النهر يفيض قريبًا منهما،

تتكاثر مياهه

تنساب بين الأزقة،

تغسل ما كان،

وتترك شذاها في كل بقعة تمر عليها!

***

obeikan.com

(٥)

لقاء

كانت تدير لي ظهرها عندما
انفتحت عيناي لتكتحل برؤيتها!
اقترب منها هادئ النفس، مشتعل الخطو،
شممت رائحته،

واستدارت في التفاتة بديعة إليه.
اقترب منها،
استجابت واقتربت هي الأخرى،
كادت أكبادهما تتصلان،
تلتصقان،
أنصتا لدقات قلبيهما،
مد يديه إليها،
وتناول راحة كفها اليمنى،
ورفعها إلى شفتيه، يقبلها،

obeikan.com

دبت فيه روح جديدة،

استغرقته نشوة غامرة،

وغمسته في بحر من مشاعر من نور،

كانت جذوة من نار تتأجج في نفسه،

كان دفء كفها يوحي باطمئنان عجيب، ولا سيما في أجواء الشتاء الباردة.

هي دائما منذ عرفها تبعث بهذا الدفء في روحه،

تلهمه،

تستثيره،

تستفز عقله،

كان انبهارها المعتاد بما يأتي، دافعًا مستمرًا للتجديد والعمل،

وكانت عيناها اللامعتان اللتان يملؤهما بريق حنون، وحب جارف - مرفأ طالما لجأ إليه، ورسا عنده.

غابت طويلًا،

كانت روحها تحلق بجواره،

يبحث عنها،

وفي الشتاء الذي يحبه عاد إليها،

فهشت لعودته،

نزل إليها،

obeikan.com

وفتح لها قلبه،

رحبت به،

وقامت تستقبله، وعلى شفتيها ارتسمت عبارة تقول: لا تغب،

انتظرتك كثيرا،

أرجوك

حياتي بك،

لا تغب،

احمني!

***

obeikan.com

(٦)

رجفة

كان الخوف يتصاعد في نفسها مع مرور الوقت،
ويـــزداد ضـيـق صـدرهـا كـلـمـا امـتـد
وقـت تـهـامـسـهـمـا، كـأنـهـمـا لـم يـتـآلـفـا
مـــن قـبـــل، ولـــم يـــذوبـــا مـــن قـبـل!

كان انبهارها القديم الذي خفت ضوؤه مع طول الصحبة سكِّينا تمزق قلبه، وتحرق روحه التي كانت تهش، وتطير فرحا بهذا التشجيع الذي كان!

كان يتحرق شوقًا لها؛ لأنها كانت بمثابة المرآة التي تتراقص عليها أفكاره الجديدة،

كانت تشعره بأبوته، وتغمره ببنوتها،

كانت تمتلئ فخرًا، ويزداد بريق عينيها عندما تسمعه!

خمدت نيران ما كان مشتعلًا بينهما،

ثم خفتت نور نجمات السماء التي طالما أنارت دروبهما.

التقيا من جديد،

كانت روحاهما تائهتين،

obeikan.com

تدوران بعيدا عن مدار العشق الذي جمعهما.

عادا

غازلها غزلًا من حليب،

سكب في روحها ما يشعر به بصدق،

اقترب منها،

ترجَّاها أن تكون معه،

ترجَّاها ألا تغيب.

أغلقت هاتفها بعد مكالمة طويلة ثقيلة،

لم تحتمل سوى كلمتين:

لن أستطيع أن أواصل المكالمة؛ لأنني بعد دقيقة واحدة سأكون أمامك،

أسكن بين خلاياك،

أسبح في شرايينك!

***

obeikan.com

(٧)

بَــوْحٌ

تمتّعني التفاصيل الدقيقة التي تلوح عند لقائنا! خصلة الشعر التي يختلط فيها السواد بلون المرجان القديم الذي تغذى ببعض عروق من ذهب، وهي تنساب على جبهة أصفى من اللبن، بضَّة طرية.

تدعو أصابعي فأرفعها عن هذا الجبين الرائق!

كنت أشعر أن الدنيا تكثفت فاستحالت واديًا من الجنة، عندما أجلس إلى جوارها على الأريكة التي تعودنا عليها!

كانت وهي تفتح عينيها، تملؤهما بالحنين الذي ينسكب فيهما من وجهه، وروحه،

ابتسامة الرضى،

نقاء المحبة،

ذكريات الليالي،

مقابلة ما كان يعالجه من كتب،

obeikan.com

الأوراق التي كانت تتحفه بها،

تاريخهما الذي صنعاه، وصنعهما معا.

كان وهو يلمس خدها يشعر أنه مخلوق من غير هذه الأرض.

لم تتعود السهر، ولا أحبته،

كان وجهها عند الفجر قطعة من القمر،

كانت حكاية الذكريات التي جمعتهما زادًا يبهج روحَيْهما،

كان إقبالها عليه، واستمتاعها بالاستماع إلى صوته، واستعادتها لما يقرؤه على مسامعها نوعَ اكتشاف جديد لما ربط بينهما من مشاعر.

كانت تمتعه التفاصيل الدقيقة!

***

obeikan.com

(٨)

رِعْشَةُ المِيلاد

التقيتها وهي في مقتبل العمر، كان النور الذي يتلألأ على جبينها الثلجي، وخدَّاها اللذان خُلقا من المرمر الصافي مدهشًا يأسر العينين، فتكتحلان، وتنعمان، وتقِرَّان، ويفيض منهما رضًى عجيب،

مدّ يده وأعطاها شيئًا ادخره لنفسه،

كان يحب أن يصل إلى عقلها هذا المعنى الذي هجم عليه، وملك عليه نفسه، وتغلغل في حناياه.

كان المقعد الذي يجلس عليه يتألق عندما وضعت يدها، وهي تحاول الاستناد إليه مما فاجأها به،

في الطريق الممتد إلى بيتها تملكها شعور جارف يفور بداخلها،

أي شيء هذا؟!

ما معنى أن الذي منحه لي كان له؟!

ولماذا بدت مصافحته لي كأنها مخطوطة نفيسة مُذَهَّبة، خطُّها من أنفس الخطوط؟!

مالت نحوه،

تنفست،

ملأت رئتيها بهواء البلدة كلها،

طارت،

انتعشت،

أطلقت لقدميها العنان،

استهانت بما كان من متاعب السنين،

وآلام الليالي،

ومخاوف الزمان،

تناهى إلى سمعها صوت أنشودة جليلة، في الخلف منها عزف عود يعانق الكمان:

روحي «عادت شمسك الذهب»!

انفتح أمامها الغد،

أطلت من شرفته،

obeikan.com

سرحت بناظريها،

أغمضت جفنيها،

راحت،

تنتظر ما كان!

***

obeikan.com

(٩)

ضياء

تـــعـــاهـــدت حـــبـــهـــا لـــه،
كانت كلما دخل البيت قابلته بلهفة جارفة،
تـــأخـــذ بـــيـــده،
تـــحـــتـــويـــه،

تضمه بين أضلاعها،
تفتح صفحة جديدة من أعرق كتاب عرفه تاريخ المحبين،
تذوب بشفتيها على خديه المرهقين من أثر هدَّة العمل؛
فتحيلهما تمرتين، طريتين، أو حبتي كريز رائقتين جدًّا!
يجلسها،
ويجلس إلى جوارها،
ينتعش،
يذهل عن شقاء الأيام المريرة،
يسرح بخياله بعيدًا،

obeikan.com

يسافر نحو الماضي الذي فرط منه، وهي بعيدة عنه،

يعود محملًا بذكريات وردية، تشبه خديها عندما تلقاه، ورديين، طريين، ناعمين،

تفوح منهما رائحة العنبر المعتق.

كان يسعده جدًّا أن تقبل عليه،

وتسمعه.

تتحول جميعًا إلى كتلة صافية من سمع،

تتلألأ عيناها ببريق عجيب،

تتناثر منهما شلالات من ضياء،

تتبدى وهي تنظر إليه قطعة من براءة،

شلالًا من حليب،

نهرًا من ثريات، ونخيل،

ينام على صدرها،

تمشي بأناملها بين خصلات شعره،

يستغرق في حلم نوراني،

ينتظرها من جديد!

***

obeikan.com

(١٠)
لَحْظَةٌ!

التقطت قلمًا دقيقا أنيقًا مد يده به إليها، كان يعلم عشقها لمفردات هذا الحقل الحضاري، الذي يغذي وجدانها، وعقلها معًا،

كانت تطير فرحًا، عندما يظهر لها أنه يفضلها،

يقترب من روحها المتألقة،

يغوص بعيدًا في أعماقها،

يسحرها بما يدهشها به من معجمه، وتراكيبه الناضجة جدًّا، والطازجة جدًّا!

كان يرى في عينيها عراقة النهر الذي طالما عشقا السير على شاطئه معًا،

ويجلسان في البرجولة الدائرية المصنوعة من أخشاب الفاكهة العتيقة التي طالما ارتوت من مياهه، فتغذت عليه، واكتسبت من عراقته دماءها القانية التي تغمرهما بالسعادة والسكينة،

هناك، وصوت قصيدة:

"فكروني" يتنامى إلى مسامعهما،

تمد يديها،

تتسلل إلى روحه، عبر أصابعه التي تتشابك مع أصابعها،

obeikan.com

يشعر أنه ينسيها آلام السنين القاسية، والذكريات النابتة من تربة المحنة، يزغرد صوتها، يتحدر نغمًا، يتناثر ندىً، يغسل سمعه، يجلو بصره، كزخات مطر عذري، يملأ البلدة بهواء نقي،

كطفلة عابدة انتهت لتوها من وضوئها.

"فكروني،

صحوا نار الشوق

في قلبي،

وفي عيوني،

رجعوا لي الماضي".

كان الصوت العذب الذي طالما ملأ روحه بهجة يأتي من بعيد ينساب مع الحياة التي ينشرها منظر النهر الذي يتمدد أمامه كعروس مدللة، رائقة، غنية الجمال، فاتنة، ساحرة،

رفع أجفانه،

تأملها،

شربت مقلتاه من ماء وجهها الحليبي الوردي،

ارتوى،

أسلم كفيه لكفيها،

لتقود خطاه نحو عالمه الجديد!

obeikan.com

(١١)

شَوْقٌ

ارتباطه بها من نوع نادر!
يشبهان شجرة اتحد ساقاها،
ثم تفرّع إلى جذعين متقابلين،
يتعانقان على الزمان.

تعانقهما يبعث بالحياة فيهما، يثمران،

ويمنحان أوراقهما الخضرة الزاهية، عنوان وجود ومحبة.

تعودت في كل مرة يغيب جسمه هناك بعيدًا في العمل أن تسافر إليه محمولة، تطير،

يرق لها الأثير،

يشفق عليها،

يرحمها.

همسات صوتها الندي،

obeikan.com

يعبر إلى روحه مجتازًا مصفاة متجردة من حنين.

صوتها قطعة من نسيج قطني مخملي ناعم غارق في ماء الورد المعجون بالمسك الأبيض يتهادى إلى قلبه، يغسل ما علق به من الوحشة التي ترهق روحه بسبب من غيابها عنه،

يشعر بطاقة عجيبة، ووفرة من نشاط.

يحنو على أوراقه،

يتأملها، يسكب فيها من آثار ما سكبته في عقله،

يستجمع ما كان تناثر من تركيزه،

يستعيد كثيرًا من حيوية طالما ولّدت شعاع الانبهار من عينيها اللتين تمثلان على الدوام سراجًا وهّاجًا في عالم من ظلام.

يسهر يداعب وجهها.

تجلس أمامه، على الورق،

يلامس جبينها،

تنزل أطراف أصابعه متهادية خاشعة على جفنيها المغمضين، يتجاوزهما إلى خدّها الأيمن،

يسقط القلم من يده.

يشعر بدفء عجيب من نعومة بشرتها، وطراوتها، فتتسرب البهجة الآمنة إلى نفسه.

يتأجج شوقه،

وعندما يؤذن للفجر ترفع جفنيها، تفتح عينيها، يتولد شعاع الشوق الغامر منها،

ينهمر ضياء،

تناديه،

يطير إليها،

يحمل الشوق المخلوق من نار وسلام!

***

obeikan.com

(١٢)

ظنون!

"فارحم القلب الذي يصبو إليك
فغدًا تملكه بين يديك"!
كان صوت هذه القصيدة
البديعة يذوب في سمعه،

يرده بعنف إلى تلك اللحظات المتكررة القليلة التي تجمعهما،

هناك في الطريق الطويل من جامعته إلى بيته،

نخلة قديمة عجوز منقعرة،

كانت الرياح عاصفة جدًّا،

وكان ما انكشف من النخلة بلونه المرجاني القديم الذي ضربته عروق من لون حبات البن المحروق- يملأ نفسه حزنًا وأسىً،

اختلطت بداخله موسيقا باكية حزينة حيرى،

وكلمات شاعر ذاب قلبه،

وانفطر لحبيب يتلاعب بمشاعره،

obeikan.com

ومخاوف هيَّجتها الرياح الغاضبة،

والنخلة المنقعرة،

ووداع أوراق الشجر لمساكنها،

وفراقها للغصن الذي يمدها بمادة حياتها.

انتقل شعور الفقد من هذه المشاهد إلى روحه،

اهتاجت خواطره،

تزاحمت الهواجس على قلبه،

ترجَّاها،

طلب إليها أن ترحم شوقه،

وعدها قلبه،

طاردته الظنون،

جاءه الصوت خفيضًا،

"آه من فرحة أحلامي، وخوف ظنوني"!

تبدت أمامه قطعة من جمان،

عيناها بحر صافٍ،

أخذته

أبحر فيها،

ازدادت مخاوفه،

obeikan.com

تردد،

ازدادت سرعة الرياح،

زمجر،

أسند رأسه على قبضة يده اليمنى،

أسلم نفسه للطريق،

يودع أشجارًا تبكي،

تودع أوراقها،

تنكسر الغصون،

تتدلى،

تبحث عن أطفالها!

***

obeikan.com

(١٣)

أُمْنِيَّةٌ

"النجوم أَمَنَةٌ للسماء"!
يستريح كثيرًا لقدوم الليل،

يستروح به عن عناء مزاحمة الناس، وشواغل العلاقات، ونظرات الملاحقة المتطفلة، ومطالب الاجتماع، وقسوة الاختلاط، وتحكم ما يلبس من ملابسه العصرية؛ إذ تضغط على روحه، وتمنعه الشعور الفطري البسيط الذي يدعم حيويته، ويغذي وجدانه.

الوقت شتاء، توشك السنة أن تودع آخر أيامها،

تبكي الذكريات الحنون التي ولدت في محرابها، وترجو أن يكون القابل أحسن، أفضل في الرحمة، لا يضطرنا إلى بكاء جديد متزايد.

وقف أمام مجموعة من الدارسين، يلقي عليهم محاضرته الأولى،

واقفًا يملؤه نشاط وافر عجيب، مؤمنًا بحقهم، صادقًا في إرادة نفعهم.

التقت عيناه بعينيها!

شعاع دافء جدًّا، ضياء غامر جدًّا، وحنان مستفيض جدًّا،

أمومة، بنوة، صداقة، أخوة، مجتمع كامل من علاقات القرابة والودادة.

لم يكن يدري ما كل هذا البريق؟

لم يكن في حالة تسمح له أن يصدق معانيه!

أشاعت حالته حزنًا يعرفه من قديم في حناياه، يألفه من زمان بعيد،

تمنعه من أن يسترسل، ويعيش.

ملامح الأسى جزء من صورته في عيون من يتأمله.

عيناها تحاوره،

يسمعهما، تسألانه: من أنت؟ من أين جئت؟ كيف غبت كل هذا الوقت؟ كيف لم أعرفك من قبل؟ أي إنسان يسكنك؟ أي روح تحركك؟

واصل المحاضرة،

يرتفع الصوت،

تنخفض النبرات قليلًا أحيانًا،

يسكت ملتقطًا أنفاسه،

يستجيب لرجاء موصول منها،

تلهث.

يضع القلم على المكتب،

يستعد للخروج،

تتعثر خطواته،

obeikan.com

يحاصره النور الغامر، يمنعه السير، يلجم خطوه.

وقفت في مواجهته:

وجهها البريء، جبينها العريض، خداها الصافيان المتوردان، شفتاها المطبقتان على ابتسامة خاشعة خلابة.

وقفت تلخص كل قصائد حب العذريين،

تمرح في عقله،

لا تترك له فرصة لأن يتحول عنها.

أحَبَّ النهار!

بدا آمنًا، مطمئنًا إليه،

لم يعد يرجو هجوم الليل، طلوع النجوم.

بدا الأمان في ألَّا تنزل هذي الأشياء إلى دنياه.

تبدل فهمه،

تغيّر استقباله للظاهرات الكثيرة.

قفز إلى عقله معنى حلاوة تنفُّس الصباح،

استقامت فطرته من جديد،

تمنى أن لم يكن للنهار انتهاء!

تمنى أن لم يكن للصباح غياب،

تمنى أن لم يرحل الشتاء وهو يعانق روحًا منها،

obeikan.com

تعاتبه،
تمنى أن يقيم المطر، يرعى ميلاد الحب النامي،
انتعش كثيرًا، وتمنى مرارًا،
وألحَّ في الأمنيات.

***

obeikan.com

(١٤)

أَلَــــمٌ

”شــــيء فـــي قلبـــــــــــــي يحـترق

إذ يــمــضـــي الـــوقـــت فـنـفـتـرق“!

أول لقاء لروحينا وقع هناك.

في ميدان العباسية، قبل أن تهجم عليه روح كئيبة، قاسية، تفتاك ملامحه الجميلة.

اصطحبها،

تمشيا معًا.

يرجو ألّا يكون بجوارها؛ إذ يفقده الجوار متعة إطلالة وجهها وهي تؤنسه، تنشر البهجة من عينيها إلى نفسه المتعبة.

امتد الوقت، اقترب موعد الغروب، والغياب،

انقطاع الوصل.

تفور في داخله المعاني.

تتأجج الأشياءُ الصغيرة،

تتراقص، تمرح، تتغني بأعذب أنشودة.

ثم تعود فتبكي!

الورة البيضاء يحملها إليها،

القلم الدقيق يزداد جمالًا بين أصابعها، الورقة ذات اللون الكريمي الناعم الهادئ تتألق في الكراسة بجوار أخواتها.

اشترتها من أجله، أهدتها له ليكتب عليها سيرة حبهما، ذكرياتهما معًا.

زجاجة العطر الخاشع وهي تسكن حقيبتها،

وتعلو بهذا السكن قيمتها، يكسبها بعضًا من عبق أنفاسهما، يشبه رائحة الجو وهو يتهادى بعد ليلة ممطرة في بستان من ياسمين وريحان.

قفازها البني تغذوه عروق المرجان،

تخلعه في هدوء شديد،

تتبدى رقة الفضة الوردية من تحته، تتشكل في شكل أصابعها.

يقترب،

يلمس بعضًا منها،

يلين العالم،

يرق له،

يخشع عند خواتهما الصغيرة، تزداد بهاء في أصابعها.

يحكي لها عن بعض المستقبل، وهو يلوح له من ثقب يتراخى،

obeikan.com

ينفتح له من جدار الزمان،

يشف الوجود،

تتساقط منه صلابته، وقساوته.

تلتقط الشيء، يزداد حلاوة، يزداد بريقًا في يدها،

يطيل في تناوله وأخذه من يدها، يستدفئ.

تمر اللحظة،

يتعالى صوت قلبيهما،

تهمس له:

تأخرنا!

و"نمد الأيدي يجمعها حبٌّ

وتفرقها طرق"!

***

obeikan.com

(١٥)

نَـغَـمٌ

سكب في روحها قطعة من أدبه الذي نضح عليه بعد أن تغلغلت بداخله.
كانت ترتشف رحيق ما يتلوه على مسامعها،
تذوب كحبيبة داعب حبيبها صفحة عنقها بأطراف أنامله.

كان ضوء المصابيح يحنو عليها في المركب الذي استأجراها،
كانت تجلس إلى يساره،
يرتعش ضوء المصابيح مع نسمات الهواء المبللة،
تحمل إلى وجهيهما من ماء النيل الذي يجري حولهما سعيدًا،
يتراقص،
يتقافز من فرح لهما،
كان انعكاس صورة الجسر الحديدي المشغول على صفحة المياه بديعًا،
يشهد بعراقة صانع عاشق يشغل حديد الجسر بروح راهب متبتل يسكن المحراب،
حانت من المركب التفاتة بديعة،

وهي تدور لتعود،

نقشت على خده الأيسر قبلة دافئة!

كانت شفتاها الممتلئتان اللتان ارتاحتا من تعب بعد أيام من إرهاق يوم عقد الزواج- حبتين من تينٍ ناضج جدًّا، حلو جدًّا، توشك خلاياه أن تنطق حلاوتها بالحمد والتسبيح،

عزفت نغمًا، ما يزال يطرب روحه،

كانت شجاعة حبها إعلانًا جديدًا على روعة نفسها.

مد يده،

أحاط بخصرها،

غاصت بعينيها في داخله،

شربت ملامحه،

نزلا،

سارا،

تعانق ذراعاهما،

وصلا.

كان النيل يشدو بصوته العذب الشجي:

"أغدا ألقاك"!

فيجيبه القلبان:

obeikan.com

بالأماني العِذَاب.

تأخذه،

تحمله في ضميرها،

تسير بطيئة متثاقلة،

تدخل بيتها،

يغيب في حناياها!

***

obeikan.com

(١٦)

تَـمَلَّلِي!

زرع الـمـسـرحَ حـركـةً،
كـان يـهـوى مَـلء الـسـبـورة
بـخـرائـطـه الـذهـنـيـة الـتـي تـحـبـهـا،
يـزرعـهـا بـأمـثـلـتـه الـمـوضِّـحـة،

يدور،
يقترب من مقعدها،
يتمنى ألَّا يفارقها.
في الطريق الذي يفصله عن بيتها،
يرسل إليها برسالة هاتفية رقيقة،
يلتقط بيتًا من شعر من يتعلق بهم،
تداعبه،
ترد له الرسالة بفهم جديد،
يزيد الحال اشتعالًا،
يتقدُّ الخاطر،

obeikan.com

يلتهب الخيال،
تتردد بينهما «وجهُ الخير»،
كانت تحمل بينهما الكلمات الدقيقة،
تتذكر الآن تلك الأيام القديمة،
تشعر أنها أسهمت في خصوبة هذا الحب،
يرجع إليها،
يحكي لها بعضًا من ذكريات الأيام الأولى الساحرة،
يحكي لها ذكريات مقاومتها العاجزة،
اضطرابها،
ترددها،
انكشاف قلبها.
كان يُجوِّد خطَّه من أجل عينيها،
يزركشه بما يحبُّ من علامات الترقيم،
بالألوان الزاهية، على الأوراق ذات الخلفيات التراثية،
صورة الكوخ البني القديم،
تحضنه عراجين نخلات عريقة،
لم يتوقف طرحها،
يتدلى منها تمر أصفر، ضربه لون قاتم، مكتنز بماء من حلاوة سماوية،
يرقُّ صوتها،

obeikan.com

يخشع،
تلوّنه بقلقٍ،
لا يعلم أسبابه،
يسائلها،
يترجاها أن تفصح عما يطيف بها من توتر،
يصبغ وتريها الصوتيين،
يقلق،
ترده إلى مقام السكينة،
تقول له:
أتدلل؟
يجيبها:
تدللي،
تَ
دَ
لَّ
لِ
ي!

***

obeikan.com

(١٧)

تَرَاجُع

كانت ملامح وجهها تنطق بالغضب،
ذكَّرها منشورُه بذكريات مؤلمة،
صور الأشلاء المتناثرة،

الدم العبيط في الطرقات،
رائحة الموت التي نبتت في الردهات،
فقد الأحبة،
سقوط الطهر المجسد.
ضغط من جديد، ليعدل ما كان كتبه،
خفف مما أثارها،
استسلم لروحها المتعبة،
حنا عليها،
اقترب من ضميرها،

obeikan.com

رفع صوته قليلًا:

قاوموا محيط الكراهية!

كانت ثقته في قلبها لا حدود لها،

وهج الرقة التي تسكنها،

عبير الرحمة،

ألق اللحظات الحلوة،

شذا الذكريات،

بقايا الرسم بالقبلات،

دفء التلاقي،

انتظار اللقاء بعد اللقاء،

فتح صفحته من جديد،

أضاف منشورًا جديدًا،

يعتذر عن قسوة لم يُردها،

شرح وجهة نظره،

استبقاها،

تراجع،

توقف عن جداله،

obeikan.com

اشترى خاطرها،

صافحها،

نقش شيئًا بديعًا على خدها المكتنز بالنعمة،

ابتسمت،

بدأ موسم الكراهية في الأفول!

***

obeikan.com

(١٨)

مخاوف

مخاوفه التي سكنت نفسه من قديم جدًّا،
جراح روحه تناثرت، وتراكمت مع الليالي،
عـذابـات الـسـنـيـن الـمـاضـيـة- تـــزداد،

تتكاثف،
تضغط جدًّا،
تعصره.
يوشك من فرط الضغطة يتضاءل،
يضعف،
ينسحب،
يتوارى.
أشرقت!

بدت وهي تلبس أمامه قطعة حية من دري يحلّق في القاعة، تستمع إليه، تنسرب إلى داخله، ككوب من ماء بارد،

obeikan.com

له صيف يقذف بالحمم.

جاءه صوت هاتف،

لا يدري كيف انسلّ إلى وجدانه:

"روحي فداك،

عرفت أم لم تعرفِ"!

أوشك يختتم العمر، أوشك ينهي الربع الباقي من الساعة.

لملم أوراقه،

جمعها،

تباطأ وهو يرتبها،

يطيل النظر إليها،

يتغافل حينًا،

يتحايل أحيانًا أخرى.

تتعلق به،

تسرع نحو ضميره،

تسكنه.

يحمل مفتاح حقيبته،

يدس فيها أقلامه،

الكتب يصحبها ويهواها،

obeikan.com

يحمل معها آلامه، عذاب فراقه، أشياءه، خطاباته، وخطاباتها، بقايا عطر ينفذ منها إليه.

يصحب وجهها الدائري المتورد،

تعود بقاياها تضطرب، ومخاوفها.

يعاوده كثيرٌ مما عاودها!

***

obeikan.com

(١٩)

نَشْوَةٌ

"يـا قـومـي أُذُنــي لبعض الـحـيّ عاشقة"!
صـوتـه الـمـنـحـوت مـن طـيـنـة مـقـدسـة
عـلـويـة يـتـجـلـى عـلـى الـــدوام بـهـيًّـا،

زاده طريقة اختياره للكلمات العريقة الموفقة شيئًا ضافيًا من بهاء، ونفث فيها من حسن الأداء، وقوفه، تنغيماته، ضغطاته المتنوعة، حركات البدن المصاحبة- شيئًا من سحر ورواء!

ساعة يتحدر المعجم منه تتسامى،
تُحلّق،
تنساب كمياهٍ طاهرة تهديها السماء،
يدفعها شلال هادر من قمة شاهقة،
تجتاح شرور العالم،
تكنسها،
تغسل وجه الأرض،

obeikan.com

تزدهر الصحراء،

تنفجر الأنهار، أشجارًا ونخيلًا ونماء!

تحط طيور الجنة عند يديها،

تسكن،

تخشع،

تشدو بأعذب أصوات ممكنة في الملكوت.

يأتيها،

يتمسح فيها،

يتلمس حبات القمح النامي في كفيها.

نظرات الحب إليها زادٌ روحي يبعث بالحيوية فيها،

تزدان شجيرات الفكرة في دمها،

تترعرع ثمرات النور بداخلها،

تتعالى،

تكثر،

تنمو،

تنضج،

تزداد حلاوتها،

تختال، يتعشّق مشيتها،

obeikan.com

تتقاطر حبات من أنداء.

تتمنى أن يبقى صوته،

ألّا يتوقف أبدًا.

تزداد النشوة!

يطير هناك بعيدًا، عن هذي الأرض الطينية،

يتألق، يتأنق،

يزداد بهاءً، تتنامى النشوة!

***

obeikan.com

(٢٠)

غِيَابٌ

"وعـــدونـــا فـسـبـقـنـا ظـلـنـا"!
تـعـوَّد لـقـاءهـا، والأنـــس إلـى حـديثـهـا،

كان صوتها الطفولي الضاحك، كقطع المنّ التي تذوب في نفسه من فرط حلاوتها القدسية، مملوءًا وهنًا.

كانت في وفرة نشاطها تملأ حياته بهجة،

وتنشر في عالمه بِشرًا،

وتحيطه باطمئنانٍ نادر عجيب، لم يستشعره منذ فقد أمه التي كانت جنة من حنان.

كان وهي تحيطه، تقوم عليه، يشعر بارتياح عجيب، بغنى موفور الثراء، بنسيم يطيف به، بقوة فتى ملائكي النشاط.

إذا جاءها بعض مرضٍ، هدأت أعضاؤها العبقرية، ونال من وفرة عطائها، وهدها فمنعها ما تعودت منحه،

حنانها، لمسات يديها،

قبلة الروح التي تعيده للحياة كلما ضاقت به السبل،

نعيم القيام على أمره.

كان يملكه توتر عظيم إذا بدت هالات داكنة أسفل عينيها اللتين ينير العالمَ بريقُهما، ويغمر الوجود ندىً من عطفهما.

كانت أعباؤها التي لا تعبأ بها - غولًا ينهش في بدنها اللطيف، الرقيق، الودود المسالم،

وهي لا تأبه له، ولا تستجيب لدواعي ما يلح في طلبه من الراحة والسكينة.

تتمدد على مقعدها الذي ألف أن يراها فيه على غير هذه الهيئة المتعبة، المنهكة،

كان منظرها يبعث بالرعب في نفسه، يحيطه بذكريات رحيل أمه،

ضياع الأمان، تمزق الروح، شتاته في المدينة، ثقل الغربة المقيتة، الآلام القديمة، وجع السنين قبل أن يلقاها.

يأوي إلى بقايا وجهها النضر المرسوم في مقلتيه، يناجيها في ضميره، يتأمل شفتيها الذابلتين، يجتاحه خوف عميق، هادر،

يناجيها،

يناديها،

يلح عليها،

يرجوها البقاء إلى جواره،

غيابك غيابي،

تعده،

تحاول تعود،

تهمس في روحه،

تمد يدًا،

من خلال البعد مُدت لغريق!

***

obeikan.com

(٢١)

رَحِيلٌ

ظل طوال عمره لاهثا، تنقَّل بين المدن، فتَنفرمنه ثقل ظله، وسواد روحه، كان يسأل كل من يقابله، فيمدون له يد العون،

تنكر لكل من عرف،

خاصم،

فجر في خصومته،

تزوجها،

أكل خيرها،

لم يحفظ ودها،

أهان شرفها،

لفظته، وبدَّلته، وألقت به بعيدًا عنها،

تركته،

فضحته،

انفضَّ عنه كل الذين كانوا حوله،

obeikan.com

تنكروا له،

كرهوا رائحته،

سخروا من غروره الذي كان،

انزوى بعيدًا، بعيدًا،

يرقب محنة الأيام التي صنعها،

صور المراثي التي تسبب فيها،

عشرات الذين أقصاهم،

كثيرين ممن شنّع بالباطل عليهم،

قتامة المكان الذي احتله زمانًا،

كراهية الكلمات التي رددها،

الكذب الذي مارسه،

الافتراء على العلم،

الدعاوى الباطلة،

هجمت كوابيس مآسيه، نغصت عليه، تراكمت فوقه،

وما زال يبحث في التراب عن بقايا العذاب!

***

obeikan.com

(٢٢)

نـــدى

كـــانـــت حـيـــاتـــه جـديـبـــة، قـاحـلـــة، مـــن كـــثـــرة الآلام الـــتـــي نـــزلـــت بـــه، قـســـوة الأيـــــام، مـــــرارة الـــزحـــام، شـــــدة الأحـــــداث الـــتـــي غـمـرتـــه.

التقاها..

كان ظهورها في حياته إشراقة شمس في موسم الربيع،

منيرة، مسالمة.

اقترب منها،

استنشق عطرًا ملائكيًّا،

أينعت نفسه،

أحيت موات روحه،

نفضت ركام الزمان،

غسلته من أحزان الأيام،

obeikan.com

أنعشت عقلًا كان سقط واستنام،

استحالت صحراء روحه إلى واحة من نخيل، وزيتون،

تفجرت في أنحائه أنهار موصولة بالسماء، ممطورة من مزن علوي طاهر.

كانت نورًا، ونوارًا،

عبيرًا، وأزهارًا،

ماءً، ووضوءًا،

طهرًا ونماءً،

بذورًا من خير صافٍ،

رَحِمًا حاميًا،

زينةً قدسية،

كانت ندىً!

***

obeikan.com

(٢٣)

حَيَاةٌ

أيامه الماضية ما زالت تنزف!
تحوطها الآلام المشتبكة،

وحشة الذكريات المريرة، التواء الطريق، الأنفاس الملتهبة، وهن القلب.

حل شتاء العمر قبل أوانه،

يبكي في العادة،

يغرق كل الأحياء، تتساقط كل الأوراق من الأشجار، ترتعش الأعضاء، يذبل جدًّا، تتصاعد تحت البرد الأنفاس،

تقاوم،

تنزل،

يقترب،

تقتحم المهجة منه

تقتحم العينين.

تقاوم شيئًا تخشاه،

obeikan.com

لم تتأمل يومًا أسباب مقاومتها.

استسلمت لعداوات نفسية قديمة تجاهه.

توسل إلى عقلها بشيء من منطق العقل، روعة الإيمان، سمو قصائد الغزل العذري،

روح الوطنية تَمْتَهِنُ قليلًا.

بلدته تسكن قلبه، بيوت الطين، خزين القمح، مصانع تصنع من أجل الأرواح البهجة، أكوام غذاء العقل من الكلمات النضرة.

رجعت إلى مقعدها،

قفزت كل صنوف الغضب بداخلها،

انقطع حضورها.

ذبلت منه الروح،

فتش في الطرقات،

سأل المارة، هواءَ البلدة.

تذرع بمن يعرفها، أوقف كل هواء العالم، يسأل عنها،

يبحث عن عمر مرّ بين بقايا رماد الأيام المتقادم.

جاءت،

فاجأها،

رضّاها،

obeikan.com

سكنت منه الروح،

آمن منها القلق،

اعترفت،

ولد الهدى،

افتتح من بعد المعاناة، والآلام والعذابات ميلادًا جديدًا،

افتتح الحياة!

***

obeikan.com

(٢٤)

شَهْوَةٌ

"الحب ليس رواية"!

أشتهي أتكلم في حضرتها،

أقبس من نور ملامحها!

كانت عادته أن يلتفَّ بالصمت،

يركن إلى حزنه النبيل، الذي يحيله شيخًا وقورًا، لا يمكن لأحد أن يتكهن بحقيقة عمره الذي انقضى،

كان يمتعه الغوص بعيدًا بين سطور الكتب القديمة،

صور المخطوطات التي يهواها،

عنوانات الأبواب المكتوبة بالمداد الأحمر القاني العتيق، الذي زاده تقادم الزمان عراقة،

رسوم الحروف الممشوقة كعروس عذراء لم تحمل لحمًا بسبب من حمل، وزواج!

obeikan.com

مر طيفها،

اقتنصه،

حفر لها كوخًا في ضميره،

أنزلها من نفسه،

تبناها،

اختار لها الطريق التي رآها مناسبة لمواهبها،

كان عشقها يغمره، بفيض من بهجة عقلية جديدة جدًّا لم يألفها من قبل.

فارق بعضًا من حزنه الذي كان يحوطه، ويغشاه،

طرد بعضًا من الصمت الذي كان يرتديه،

بدأ رحلة جديدة من الاشتهاء،

آمن بعد كفرٍ:

أن الكلام في حضرتها ليس اشتهاءً،

الكلام في حضرتها حياة!

***

obeikan.com

(٢٥)

أُمُومَةٌ

كان يحيره كثيرًا، ما يصيبه إذا فارقته،

غربة روحه،

شتات الذهن،

ارتعاشة الخوف،

ألم الغياب،

وحشة الفرقة،

خفقان القلب،

وَحَرُّ الصدر،

ضيق النفس،

ملالة العقل،

تيهٌ، وشعور غامر بالضياع!

لم يكن يدري أن اعتماده عليها هو الدم الذي يسري في دمه،

حياته التي تحمل بدنه، وهج النشاط الذي يدب في أعضائه،

obeikan.com

توقد الفكرة وهي تنطلق في أعماقه، رهافة الشعور، وهو يتدفق منه، يغمر الوجود.

كانت، وهي بجانبه، هواءَ العالم النقي،

تحيي الجسم،

تحمله،

يتعافى،

تقذف بالوعي إلى داخله،

تمتعه،

تحوله مَلَكًا،

تستقيم حروف الفكرة على دفتره،

يتلألأ حبر القلم الذي يمسكه،

تتدفق منه دماه،

تحيي الأوراق،

تبعث بالرقصة في الكلمات،

تغني،

تشدو بأرق الأضواء،

تنير العالم من حوله.

كانت مهجة روحه حين تئوب،

obeikan.com

كانت ماء حياته

كانت كل العالم له،

كانت كله،

كانت أمه،

كانت ماشاء الله!

***

obeikan.com

(٢٦)

أُلْفَــةٌ

تـتـبـدى دومًـــا قـطـعـة مــن سـمـاء،
تـتـلألأ مـلامـح وجـهـهـا كـثـريـات ونـجـوم،
تــتــوزع فــي انــسـجــام عــجـيـب جـــدًّا،
شـالُـهـا الأســود، إذ تـتـمـدد فـي عـروق
الـــذهـــب، تــضــرب فــيــه مـتـعـرجـة،

يظهر وجه القمر الساطع، ليسكن فيه الخدان المعجونان من الدُّرِّ،

الخدان خدًّا طفلة مولودة لملاك، من لجين طري يزيد بهاءً،

خشوع خمارها ينام متبتلًا تحت الشال، يحيل صفحة وجهها قمرًا يتلألأ بالأضواء!.

أخذت في عادة لم تكن منها من قبل، حرارة الإقبال عند عودته من بعد غياب، قبلة الإكرام.

تتناول اليدين كأنما تستلم الكعبة والحجر الأسود،

يشتم رائحتها،

يأنس إلى قدسيتها.

إذا ما فارقته بعد ما تغمره بفيض من حنان علوي طهور.

يتساءل: لماذا يفقد الناس الإحساس بعظمة السماء؟!

كيف استطاع أن يقترب منها.

أن يذهل عن كل الأغيار، ثقل الوجود، عيون الوشاة، نزق الأطفال، عبث البنات تغمرهن البراءة.

تزاحم السيارات، تراكم البضائع، الناس على الأرصفة.

لماذا ينجذب إلى النور؟

فتش في آلاف (آلاف) من المراجع الأصيلة، الأدلة المنقولة، الآراء المعقولة، اتفاق المجمعين، تواتر النظريات.

بدت الإجابات خارجة من سكن الروح.

اكتشاف البذرة الواحدة،

الغرق في الألفة الغامرة،

القطعة المأخوذة مني.. ترتدّ إليّ الآن،

وتسكنني!

***

obeikan.com

(٢٧)

لَهْفَةٌ

"كلماتك ليست كالكلمات"!
يؤمن أن المعجم يختزل العالم،
يسكن بين حروف الكلمات،

وهو مؤثر جدًّا في نظرته للأشياء، خبرات البشر المخزونة خلف العلامات اللغوية، الصحراء الممتدة صفوًا، البستان المترع ثمرًا، تجارب السنين، العقول المتراكمة، زخّات الإبداع الخصبة، أجساد الأفكار الحية، المحراب الخاشع، أرواح المعنى تتسابق في فرح خلف المعنى!

يوم التقيا، تجلت كالنفحة العلوية تتسلل إلى داخله المهدوم المهزوم، تجلّت لتحييه بالبهجة في عقله بالأنس الخالد في قلبه، بالنور الساطع في العينين، بالموهبة القدسية في الكفين!

اكتشفت على شفتيه طعم الكلمات، دفء المعنى، الجريان الحي حين يهمس بالأنهار، نفس الصبح ساعة ينطق بالإصباح، جلال الوحي حين يجوّد ويزخرف بالمد وبالوقف وبالتلحين بعضًا من آياته.

حين تهاتفه تتراقص صفحات المعجم طربًا،

تشتعل الأصوات من البهجة،

تندى الكلمات،

تتنفس الأعضاء.. تتحول معشوقات،

وتهيم.. تحلق،

تمطر أفكارًا أبكارًا.

لهفته إليها شيء من نار، من نور، من قبس علوي في أطهر بقع الكون.

حين يقابل منها صدق اللهجة، تنغيم الألفاظ، رقص الأوتار الصوتية بين الجهر وبين الهمس- تهدي القلب المتحير،

تغتال التيه الضارب حوله،

وتحيل الظلمة وديانًا من أنوار،

تتبدد لهفتها دومًا لهفة أم حيرى، نزعوا منها سر أمومتها،

لهفة أم أشبه بالثكلى.

وحين تعود، تعود فتغمر كل الأرض الرحمة،

يتبدى القول الصادر منها جنة حيران،

يشتاق إليها،

يتلهف،

obeikan.com

يبحث فيها عن سر المعنى المختال،

يلقى اللهفة عنوان الشوق،

يلقى اللهفة عنوان العشق الكامن،

يلقى اللهفة تفسيرًا للحب المتأجج في صدره،

يلقى اللهفة عنوانًا للإقبال!

***

obeikan.com

(٢٨)

تَرَدُّدٌ

في تاريخها ما يملأ مجلدة ضخمة تحكي حكايات من أزمنة ترددها، مقاومة النخلة المثقلة بداخلها.

كان حديثه إليها، هجوم طيفه المباغت كل ليلة، احتلالُه محيط غرفتها، اقتحامه لكيانها- قدرًا نزل بساحتها.

لم يكن يدري ما هذه التفاصيل التي تؤرقها؟

تعذبها ؟

تحتل أريكتها؟

وتزاحمها فوق وسادتها؟

تنزع الصرخة المكتومة الملتهبة من فيض مشاعرها؟

وتزلزلها؟

كان، وهو يكبرها، يدرك حجم توترها، وصراع الأفكار بداخلها، الخجل

obeikan.com

الفطري، كلام الناس الثرثارين، فضول الأصحاب.

احتجبت، غيّبها القلق الماضي المتسلط، الفهم الخاطئ للآلام، خوف الفقد القادم، اتساع الأماكن، الفرق الموهوم في ما بينهما من درجات.

رجع يذكّرها بحقيقة الأشياء، جريان النهر الدائم تحت الجسر، تجاوزها بعض المحن السابقة، بعض الفرح الغامر في الأيام المنصرمة، نبضات القلب قليلًا،

بعض الأشعار الحلوة، بعض اللوحات المهداة إليها، بعض الكتب المحمولة، بعض الأقلام الحبلى.

استدعاها،

أرسل ساعة غابت من يرجوها،

من يقذف بالرحمة داخلها،

من يحملها نحوه،

من يكسر حدة غضبتها،

من يغسل غبرة وحشتها،

من يزرع بالبهجة قلبًا منها،

يسكنها

جاءت مستنفَرَةً فزعة،

أسمعها حلو قصائدها،

obeikan.com

لوّن بالكلمات أضواء ملامحها،

صوّر بالإقبال عليها الفرح الراقص من رجعتها،

اهتز القلب حياةً،

فرحت

وانتعشت،

بدأت مواسم الإزهار، نقاءَ الجو، حياة الروح، انحسار الماضي، ذهاب التيه، إيمان القلق، سقوط الوهم،رحيل ترددها!

***

obeikan.com

(٢٩)

وَجَعٌ

يتغير بعد كل مراجعة لطبيب العيون،
يغشاه نوع ثقيل من كآبة، واستيحاش للطريق.

يهاجمه شعور حزين جدًّا: ثمة تراجع متعلق في قدرته على الإبصار،

رؤية ما يهواه: وجهها الملائكي المنبئ عن دلال ونعومة عيش،

شفتاها كأنما هما تمرتان مقطوفتان من عرجون سماوي تنزّان عسلًا قدسيًّا، ينتعش العالم من فرط طراوتهما، وامتلائهما بماء الخصوبة، بأصابعها الدقيقة البضة، عيناها اللتان تنيران الدنيا، وتقفزان به سريعًا نحو الجنة، سطور الكتب المعشوقة، لوحات المخطوطات العريقة، وهي تنام في خشوع أمامه كل ليلة، صور ما حصّل من تكريم وشهادات، ذكريات السنين المحفوظة في الألبومات.

عزيزة جدًّا، تحتل الرقم الأول دومًا في قلبه،

يعرفها جدًّا،

تتحمل كثيرًا من أعبائه، ترعاه، تحوطه، تتفقد أحواله،

obeikan.com

تغذو روحه، تشحذ عزمه، وتعطر غرفة مكتبه،

تدفئ وجدانه، تلهب خاطره!

ثم تعود فتسكن مهجته،

يخفي عنها تطور حالته، لمحت في وجهه أساه، كآبة الزمان القديم،

قسوة الضغوط، هموم الأيام القادمة وهي تسرع نحوه.

هل عاوده سمته القديم، حزنه المتفجر في نفسه؟

أرق الليالي المتطاولة الثقيلة، صمته الجليل؟

خوف الأحداث المتوقعة؟ اضطراب البلاد؟

اختطاف الأصدقاء؟ غياب التلاميذ؟

تواري المجلدات؟ وتواريها؟!

لم يكن يدري أن ابتسامته هاجرت، وتركته وحيدًا.

هل صحيح تسامحه؟ تغفر له ما كان منه مما لا يود أن تشاركه فيه؟

آلامه المتجددة؟ القلق النابت في تربة أيامه المستقبلية؟

خوف الفوت؟ الحرمان من استكمال كتابة الأحلام، وهي متنه وهوامشه؟ فرص مصاحبتها؟

إعمار الأيام القادمة؟

هل ستقدر له رحمته بها؟ إشفاقه عليها من فرط أمومتها، من تدفق أعبائها؟

من وجع القلب الرابض فيها؟

obeikan.com

يخشى منه عليها.

يتزايد قلقه كلما استصحب في الذهن حجم ما تطيقه،

كثافة ما تنوء بحمله، بهموم الليالي، بمتاعب البدن اللطيف، بسوابق المحن المتوالية الموصولة بالحاضر، بوخز مفاصلها، وبوجع عضلات الرقبة منها، بثقل المطروح على كتفيها.

تبقى جنته، مهوى وجدانه، عشقه الأبدي،

تبقى في الحقيقة وَجَعَهُ!

***

obeikan.com

(٣٠)

دَمْعَةٌ

تواجه ما تشعر به عندما
تشعر بانشغاله عنها بالتيه
يستولي عليها، بفقد الرغبة في الأشياء،

في ازدراء العالم، في النوم المرضي بديلًا عن موت يعصى أن يأتي؛
ليريح النفس المهزومة.

يجيد قراءتها، الضحك النوار، البسمة المختالة فوق الشفتين.. تحيل الدنيا زفة فرح، رقص القلب المملوء بشهد العشق، لمسات النور يكون الجو ربيعًا منها، حركات البدن إذ تنتظم الطرقات، وتزهو الدنيا.

ترقبه،

تمنحه ساعة يقترب دفء الروح، ذكاء الخاطر، فرح العقل،

نشاطًا يألفه، قوة نفس تتصدى للشر المترامي من حوله.

عاشقة دومًا زاده، تملؤه بأشهى ما يمكن أن يملأ حافظة في العالم.

أعادت رسم ملامحه،

obeikan.com

منحته جمالًا قدسيًّا،
سكبت بالنور المؤمن في قلبه،
مسحت ذاكرة الأمراض، الوحشة، القلق الطاغي، مرّ الطعم.
عادت تحسن تفعل كل الأشياء الحلوة،
تسكن قمصانه،
تبعث بالعطر الفردوسي المتخلق من دمها.
تتنفس، فيعيد كل هواء العالم عبقًا،
تحسن تعمل ما لا يتمكن أحد من صنعه،
تحيى النخلات المثمرة بداخله،
تستنبتها في روحه،
تهدم دمعتها كل الجدران الآمنة،
تغرق كل الدنيا من حوله،
تصبح دمعتها ساعة تتحدر سجنه،
تضحى موتَه، فيمد الكف ليمنع موته.
ساعة تمتنع الدمعة من عينيها، يعود العالم يشدو،
يعود العالم يعزف لحنه!

***

obeikan.com

(٣١)

غُرْبَةٌ

يـمـلـؤه شـعـور مـقـتـحـم جـارف
عـنـيـف بـأنـه جـاء فـي غـيـر زمـانـه،
الـوحـشـة الـقـاسِـيَـة، ارتـبـاطـه
الـحـمـيـمـي بـالـروايـات الـشـرقـيـة،

تعلقه بقصائد رثاء النفس في الثقافة العربية، حنين المهاجرين الذين قهرتهم محن العيش، انكسارات النساء فوق ساحات الملاجئ الكثيرة المتناثرة،

الصقيع الذي يفتك بالأطفال على الحدود، وفي شوارع المدن الكافرة، قسوة القلوب التي استحالت صخورًا بركانية.

قلبه من نمط مختلف جدًّا،

تسكنه العزلة، الفرار إلى غرفته، الحنين إلى أوراقه العتيقة التي يعشقها، أقلامه المتنوعة التي يحب تأملها، الأنس إلى كراساته التي يجمعها من بلدان شتى، خزينة أسراره، رسائل أصدقائه، زجاجات العطر القديمة المخزونة في مكتبه!

يوم التقته نفشت فيها روحٌ جديدة، ذاب الجليد الذي تراكم في نفسها،

الصدود من الناس، استعارة الوجه الجامد، ملامح القناع الذي أحكمت استعماله فوق وجهها حتى نسيت ملامحها الأصيلة.

نبتت فيها كل زهور العالم..

الخزامى العبقة..

الياسمينة البيضاء الرقيقة.. الريحانة الخصيبة..

أقبلت على ما يقبل عليه،

التهام الروايات الإنسانية،

محبة العالم،

سُقيا شجرة الأمل،

طرد النوم المريض، والملالة والكآبة والكسل.

أماتت غربتها الحزينة القديمة للأبد!

***

obeikan.com

(٣٢)

شُعُورٌ

عاشت عمرها تبحث عن سبب
لما يمزق أحشاءها من كل شهرٍ،
الإغماءة التي هي نسخة من
موت حقيقي تنزع منها روحها،

ثم لا تعود إلا بعد أن يمنحها الطبيب الحقنة المسكنة التي تعيدها للحياة الواهنة،

قدماها اللتان لا تحملانها إلا بعد أيام من الارتماء فوق فراشها المسكين،

الوهن الذي يهوى السكن في جميع أعضائها،

الهروب إلى غرفتها المظلمة المغلقة عليها،

انكماشة الروح التي تركت آثارها حول عينيها اللتين تحتفظان ببقايا جمالٍ قدسي بديع.

التقته على باب إحدى الأماكن الحكومية تحاول مسرعة الخروج قبل أن يدخل،

obeikan.com

أوقفها،

أعاق خروجها،

جلست قليلًا عازمة على ألّا تعود لهذا المكان أبدًا.

اقترب من روحها،

يحب ما تحب،

يسبق إلى متعة عقلها،

غاص في أعماقها،

أحاط خصرها بكفيه،

ضمها إلى صدره،

ارتاحت كثيرًا،

غمرتها سكينة عجيبة،

انسرب النور بداخلها، الدفء الغائب، الرحمة المقدسة،

الأمان الذي لم تعرفه،

وُلِدت من جديد،

انتعش فؤادها،

قاومت،

طردت محنة السنين،

تحرك في أعصابها نشاط جديد،

obeikan.com

هدأ ما كان يمزق في أحشائها،
نبت شيء لذيذ في وجدانها.
أدركت أنها امرأة..
أحبت وجودها،
تدفق في شرايينها دم طازج،
عبير لا يقاوم،
سحر مريح،
الخَدَر اللذيذ،
شعورٌ عظيم!

***

obeikan.com

(٣٣)

استبداد

"أهل الهوى صحيح مساكين"!
قرأ كتب الحب جميعًا،
بحث عن نفسه فيها، عن سر طاعته، وتجاوبه،

سافر في الزمن الماضي،
فتش في الطوق،
جاءه الجواب على الغياب، "تنسم نسيم الحب"،
عامَ في بحاره، فاغتسل من كل شراسته،
لانت كل حرونته.
عاود يلتهم الروضة،
يطمئن إلى المصون في سر الهوى المكنون،
يتعلق بنفائس الأعلاق،
وتحل فيه مآثر العشاق.
سافر فيها جميعًا، يمم وجهًا شطر الشرق، وآخر نحو المغرب.

obeikan.com

دأب على أن يرجوها،

يلح عليها، فتقاومه، وتمتنع،

تتدلل، تبالغ في الدلال، وتستبد.

يتلمس أطراف أناملها،

تتلمس أطراف ردائه،

حمالات حقيبته،

طارد شيئًا طار وحطّ على سُترتها،

يمنحها قطعة حلوى، يسقيها طعم القهوة التركية الشهية الذكية المخففة التي تتعشقها، تذوب في فمها، يحسدها.

تتأني في الاستمتاع بها،

ترسل نظراتها،

تسافر فيها، تسافر فيه.

تحمل شوقًا مخزونًا بعمر الكون.

يخالطه حزن عميق عندما يتذكرا أنهما سيذهبان، ويفترقان.

تميل برأسها العبقرى على كتفه،

ترسل جفنيها،

تحفظ صورته التي لا تغيب في مقلتيها،

تتنفس بعمق وهدوء، لا تخشى نفاذ هواء البلدة.

obeikan.com

يهوى يحط على خديها، ويداعبها.

يتلطف في حركته بحضرتها..

يغني لهما:

"يا سلام على الدنيا وحلاوتها في عين العشاق

يا سلام يا سلام على حلاوتها"!

ترفع رأسًا،

يرتفع القلب لطلتها.

يقوم،

تداعبه،

تقتل خشيته.

تلين، تذوب، تفيض خشوعًا وسكينة.

تتشبث به،

تتعلق بذراعيه،

تطيعه،

يسقط ما حاولته من استبداد،

يحملها في القلب، ويمضي!

***

obeikan.com

(٣٤)

عَـوْدَةٌ

سـافـرت بـعـيـدًا، وانـقـطـعـت
عـمّـا حـلـمـت بـه، تـأمـل فـيـه،
فـقـدت روحـهـا، اشـتـهـاء الأشـيـاء،
رفعت كل مراياها التي تتعشق طلتها،

تجمدت مشاعرها الرهيفة،

واجهت الدنيا بشعور مصطنع من جليد،

خلعت كل أناقتها،

كسرت كل أساورها، وقلادتها، وخواتمها التي طالما تراقصت فوق أصابعها، زجاجات عطرها الشرقي العتيق المخزون لأجلها من أيام الأندلس الرطيبة.

بدلت حقيبة يدها الرقيقة،

كرهتها،

ما عادت تتلألأ.

يبكي العاتق من فرقتها،

obeikan.com

قطعت صلتها بأنوثتها المدللة،

غرقت في عزلتها،

زادت تجربة السفر المضني من معاناتها،

شحنت كل رصيد خزائن محنتها،

كرهت موج البحر، صفاءَ الصحو، سحر النسيم، مساحات الرمل الخاشعة وهي تغرق تحت الأمواج، النخلات المتناثرة المتخاصمة على الشطآن، المطر الطاهر يغسل وجه الأرض.

كرهت كل أنوثتها،

اجتاحتها نيرانٌ، وعواصفُ،

ترفض كل الصور الرومانسية، لوحات عناق الأحباب،

حقول الأزهار، قبلات العشاق، نغمات الموسيقا الحالمة،

آهات المرضى، السهر الليلي، قصة ليلى والمجنون،

بديع الضوء الواصل من قمر الصيف، وهو يداعب وجه النيل، يجري معه،

يسكن ساعة يسكن، يتأمله، ويحاوره،

يغشاه، ويغرق فيه.

في زيارة خاطفة لعالم فارقته،

اقتحمها،

سمعته يجادل عن شيء من معرفة ماتت أو كادت،

أحيا فيها بعض الروح الغائبة،
غازل عقلًا بات سبيلًا للمتعة،
عشقت رأيه،
ذهبت، حيث يكون تكون.
لم تأبه..
ألقت كل عقود السفر، طرحت كل ظنون الماضي،
قطعت رحلة هجرتها،
استدعت كل رحيق مكتنز من أيام براءتها الأولى،
من وهج أنوثتها، ونعومتها،
كتبت قصة عشق أولى، قصة عشق ما عادت تائهة،
حجزت:
عَوْدَة!

***

obeikan.com

(٣٥)

عهدٌ

”أعرف أن الوصول إلى عينيك“ صعبٌ!
يقف الجامع الأزهر شاهدًا على
زمان طويل من قصص العشاق،
الذين زادوا جدرانه سحرًا ينضاف إلى سحره،

وزانوا الأبواب المنثورة في كل مداخله،

ملئوا أروقته بذكريات اللقاء، بأنفاس متأوهةٍ حينا، وبأنفاس حيرى في أحيان أخرى.

أَلِفَ أن يسير معها،
قاطعًا الشارع الطويل،
مارًّا ببقايا المجد الغابر،
يتعثر في المارّة فرحًا،
تصدمه حوانيت المفروشات،

obeikan.com

يعلق بملابسه ريح المسك الجامد، أبخرة الأطعمة الشرقية،

مصنوعات الأخشاب الأثرية، الأكلمة الزاهية!

يأخذ يدها،

يصعد معها، يرقى دَرَجًا،

يهبط مملوءًا حذرًا، وطمأنينة نفس،

يرجو أن يمتدَّ الممشى،

تتفادى شخصًا، يتمنى لو لم تتجنبه، فتزاحم من تهوى عمدًا.

يتصل القلبان،

ويزيد الخفقان،

يتمايل طربًا،

يبتهج الشارع،

يتلألأ بالأضواء،

تزدان الأعمدة المتراصّة يمينًا ويسارًا، تنشر عطرًا مخزونًا من أجلهما، من أيام الفاتح عمرو،

تتواطأ حبًّا لهما الشرفات،

يتهامس بالتسليم بلاط الطرقات،

تأخذ يده، تدور الصحن،

obeikan.com

تدلف متثاقلة من باب صلاح الدين،

تمر..

تجوز إلى المحراب،

تضبط ميقات الهاتف، تسرع تصطف إلى جانبه،

تلتقط الصورة تلو الصورة،

تضحك،

تمرح،

تتقافز كحمَامات آمنة جدًّا،

تتعب من لهو اليوم،

تغيب الشمس، فتجلس فوق فراش الأروقة المنتشرة، فوق الدكة،

تهتز من فرح ساكن،

ترسل تنهيدات ناطقة بالمتعة، يخشع منها الخاطر،

تتعهد أن تبقى بجواره،

تتعهد أن تمتع أيامه،

تتعهد أن يحيا!

***

obeikan.com

(٣٦)

وَحْشَةٌ

"فما معنى الحياة إذا افترقنا"!
تنزع منه روحه عندما يُكتَب عليهما أن يفترقا،
تمرُّ الدقائق مريضة حزينة كئيبة،

يتردد الدمع في مآقيها،

تعاوده ذكريات الضلال الثقيلة، الحيرة المريرة، التيه العقيم، وجع الجسم، جفاف الأحبار في أرحام الأقلام، يُبس الأوراق، انطماس المعاني النبيلة في النفس.

لم يستطع فهم الأشعار التي تتمدح الفراق، والبعاد،

ويسأل فيها الحبيبُ الحبيبَ الرحيلَ، والغيابَ!

لم يستطع أن يفتح العينين في البكور فلا يراها،

لم يستطع أن يرسل الأصوات نحو قلبها إذ يناديها،

لم يستطع أن يشرب القهوة في الصباح دون أن يفتتح الحياة بحضرتها،

لم يستطع قراءة ورده كلما رآها،

obeikan.com

أن يتلمس النجاة في بريق عينيها، أن يملأ الصدر واسعًا من أنفاس جنتها،
يعلم أنها مضطرة، لكن المحبة لا تعبأ بالضرورة، وتستهين بالأعذار،
تهوى التهور اللذيذ،
تعشق التمرد،
وتعمى عن الأفكار، والأعراف القاسية، والوشاة، والأنذال.
يعاوده الحنين إذ همّت بالمضي،
يتعلق بها تعلق الطفل يخشى أن يفقد أمه، أن يفقد الحياة،
تغزوه الحكمة ساعة يشدو الشادي:
"أن الرجال جميعهم أطفال" يا حبيبتي!
تنهار كل المحامد،
تنزوي البركات،
ويزداد الظلام،
يستوحش من كل الدنيا،
يجلس، ينتظر، يضيق الصدر، تلتهب العينان، تشتعل الأفكار السوداء.
لا يقبل نفسه!
يذهب، ويجيء، تنهبه الحيرة،
ثم تكون،
ثم تعود، يزهر كل الكون،

obeikan.com

تتنامى الأمطار،

يتطهر كل العالم من حقده،

تسخو الأفئدة بالحب الدافئ،

تلتئم الأعضاء،

تتغنى كل الأطيار،

تبتهج الأطفال،

تنتحر الوحشة!

***

obeikan.com

(٣٧)

حُـزْنٌ

لـسـتَ "الـــذي بـدأ الـمـلالـة والـصـدود
وخـــــــــــان حـــــبـــــــي"!

تراكمت أمامه صور الماضي المؤلم القاسي.. شظف العيش، سقوط الأم المتعبة يهزمها السعي على الأولاد، وتصبر،

قلة حيلة أب عاجز يتوارى خجلًا من قهر الأيام، الروح المهدودة، النفس المكلومة، العينان الزائغتان، الأقدام المترددة، الملل القائم،

يعجبه قيام الليل.

امتلأت عيناها بدموع الريبة، باستحضار اللحظات المرة، ببكاء الأشجار ساعة تفقد قدرتها على الإثمار، شيخوخة قلب لمّا يبدأ رحلة عشق أصلًا.

صخب الرعد يزمجر إشفاقًا من وحدتها،

الريح تصفر غضبًا من حبستها.

يتردد..

تتساءل:

لماذا تقسو الحياة في اللحظة تمطر حبًّا وحنينًا؟

ساعة تسخو الأجواء بحضن رومانسي جدًّا، بصفحة خدٍّ يسعى مشتاقًا فوق الخد الملتاع العطشان، بضمة صدر تغسل كل الأحزان، تؤجج نيران العشق، وتلتهم الآلام، بتهامس عينين مع عينين.

بأصابع تنتعش بدفءِ أصابع تمتد بلهفة.

يتنازل..

يقبل ألّا يحزن، أو تستشعر قسوة محنٍ مرت،

يأبى أن تستسلم للذكرى الخشنة.

يتقرب نحو ملاذ آمن.

تعود تبسّم،

تهتز الأشجار وتثمر،

تحمل خيرًا للعالم،

تملأ قلب العشاق أريجًا قدسيًّا،

تطوي سِفْر الحزن،

وتمضي نحوه،

تزرع كل الطرقات بخطو مبتهج جدًّا، بقلب يقسم ساعة يدعي باسم الحب:

أرضى،

أستجيب،

ألبي!

obeikan.com

(٣٨)

نَصٌّ

"ومفروشة الخدي وردًا" عبقريًّا!
يوشك يظهر لمن يعرفه نصًّا،

تختلف حول ثرائه، حول خصوبته، حول كثافة مادته،

لكن يبقى نصًّا.

يؤمن أن أولى الإجراءات في تحقيق النص يكمن في التكشيف، في حصد مكوناته الصغرى المنثورة بانسجام في صفحاته، كي تمنحه ماهيته، وهويته، وتشكل ذاته.

اعتاد من يوم تعلقها، وعشقته أن يبادلها شيئًا من السحر المبين، أن يفترش الخدّ العطشان على الخد المتورد منها، يُسْقَى بنضارتها.

يود لو لم يفارقها،

يعاوده لين الشباب، وخضرته المتوهجة،

يتقافز طيرًا.

خرج لتوه من سجن الظلمة، من قفص أثقل روحه، هدَّ البدن.

تمنحه الفرصة بعد الأخرى؛ كي يتكشف كل عناصرها، كي يلتقط الدر المتحدر من فمها، كي يملأ عينيه بخال الحسن المختال فوق يمين الشفة العليا.

يتأمل منها الشفتين، النهرين الممتلئين بشهد أحمر وحليب، وهما ينطبقان، فلا يغدر طوفان الكره،

ينطبقان، فتنعم كل الدنيا.

ينزل يتهادى،

يتحسس قلمًا للتحقيق،

يتجاوز قلم النسخ كثيرًا جدًّا،

ويدقق، يفحص، يتأمل، يلمس قلبًا ينبض،

يلهج بالعشق، يفور، يثور،

يمر بطيئًا..

يرقب عند نهاية ذيل الصفحة اليسرى شيئًا يسلم للقادمة،

شيئًا يدعى التعقيبة، شامة دلٍّ، نونة حسن فوق الخدين ترسم وجه ملاك خاشع.

تتعانق في النص الصفحات،

ينسجم القدُّ،

يتخايل متسقًا،

يبوح بمعرفة قدسية،

يعلن تفصيلات مدهشة،

obeikan.com

يتآلف..

يتماسك موصولًا بالقدرة العلوية،

يدلّ عليها،

يتجلى رمزا للتوحيد، جميلًا جدًّا، بهيًّا إلى أقصى درجة،

تتجلى دومًا نصًّا حيًّا لا يتقادم،

تتبدى نصًّا خصبًا لا ينضب!

***

obeikan.com

(٣٩)

حَاشِيَةٌ

"تُـــرَاوِدُنِـــي عُـيُـونُـكِ" لا أتـقـيـهـا!
عاش زمانه كله متنًا، يعتاصّ على قارئه،

يراوغه،
لا يبوح بمكنونه سريعًا،
يسكت،
يستغلق،
يدخل بعضه في بعضه،
يكتنز المعنى بداخله،
يغمض،
يصعب.
اقتربت منه،
غاصت في أعماقه،
سافرت في أنحائه،

obeikan.com

حطت في كل محطاته،

صححت المتن،

وجمعت نسخ الحب جميعًا في حضرته،

قلبت اللفظ على كل الأوجه،

رددت الآراء، وصبرت،

أكملت الشاهد تلو الشاهد.

ارتاح إليها،

قرر أن يمنحها سر الأسرار الكامنة خلف الألفاظ، الجمل، الفقرات، الأبواب،

قرر أن يمنحها فرصة بسط الشرح،

أن يتعالى الهمس،

يطول الأنس.

تزيد، تطيل التعليق،

تُدَوِّن ما يتعالن من فائدة،

تقنص ما يثبت من نُكَتٍ كانت مستترة.

تصير الحاشية الأولى من نفسه،

يختلط المتن مع التعليق،

ويمتزجان.

obeikan.com

يتردد من يقرأ منه إليها.

يعلن وسط الناس تحوله،

ينتقل من القائمة الصغرى، الورقات، المختصرات،

تغير ذاته، تتعدل وفق التصنيف الماهية،

يُدعى حاشية!

***

obeikan.com

(٤٠)

تعليقة

"شـكـوتُ إلـيـهـا طـول لـيـلـي بـعَـبـرة"!
حبس نفسه طويلًا طويلًا، منزويًا عن الناس،
مشفقًا دومًا من لقائهم، من الاختلاط بهم،

يشعر باكتفاء عجيب، لا عن غرور، ولكن عن زهادة في الزمان،
يسافر من كتاب لكتاب،
يهوى الأسطر،
يتفنن في لمح فروق المعنى،
يتأنق في استجماع الحجة،
يطيل الفرز،
يتأنى في السبر،
يراجع نقلًا مأخوذًا،
يتفحص أصله،
يتأمل نسخه،
يصنع أشجار النسب،
يرتب،

obeikan.com

يحذف،

يستبقي،

يلاحظ ما علقه الناسخ حين يكون خبيرًا،

يتحير وقتًا،

يتردد،

يحسم أمره،

يتخذ قراره،

يجمع حججًا متواترة.

يعرف أن النص الجيد يتفجر بالنور،

يتقبل شرح العلماء عليه، تزيين الجانب منه،

استقرار التحقيق على النظر إليها، وإليه،

هي صارت جزءًا لا يتجزأ منه،

ارتبطت به،

ذابت فيه،

سارت دمه،

ماء المهجة منه،

آمن: لا يمكن أن يقطع شريانه،

لا يمكن فصل النص عن التعليقة!

obeikan.com

(٤١)

هامشٌ!

صرنا "كغصنينِ في جرثومةٍ بسقا
حينًا على خير ما تنمى له الشجرُ"!
ظل عمره يعلم أن الكتاب صُلب،

لا يتنبه لما سواه،

يغض الطرف عما عداه،

يروح، ويغتدي متأملًا لفظًا تأكد، أو نقلًا تثبّت، أو شاهدًا يختال مزهوًا بين السطور السود، أو تعريفًا يتيه على الكلام بالضبط المورّق.

ثم التقاها، أسفل الصفحات، تحت الصلب تجلس،

يملؤها الرضى،

تستهين بالصلب تَيًّاها،

يوشك حالها أن يعترف،

أن يعلن في الملأ: لو كان خلف الصلب وعي سيقدِّر المرقوم فيّ،

سيرقى بالمنثور في رحمي،

سيضم ما كان منه إليّ،

سيرفعني من أسفل الصفحات إلى العلوّ،

obeikan.com

سيمزجني،
سيلحم ما بيني وبينه.
راجع القول مرارًا،
فكر في الأمر مليًّا،
استجمع الأقوال، والآراء،
حصد ما تناثر في ماضي التاريخ،
أدرك أن الصواب يطل من الشرفات عليه،
يحاصره،
يقتحم المنافذ نحو روحه،
يتغلغل في الضمير، يتسلل هادئًا،
يتسرب،
ينبت،
تستوي في الرأس سوق شجيرته،
يهضم المعنى الخفي،
يعالن الدنيا:
أنا الصلب الذي بات من فرط المحبة هامشًا،
أنا الصلب الذي صار من فرط الودادة هامشًا،
أنا وهي صرنا كغصنين بسقا معا!

obeikan.com

(٤٢)

إيمان

"أنـــا بـالـحــب عــرفــت نـفــســي"!
يـحـفـظ مـن قـديـم جــدًّا أنـه لا يمكن
لحبيب أن يُـحـدَّ النظر في وجـه حبيب،

يمنعه الجلال، فيتقيه،
يرفع طرفًا، يأبى يطاوعه أن يرتفع،
يخفض جفنًا،
يشتاق،
يعاوده القلق،
يحفز عزمًا،
يسعى،
يتأمل وجها صُبَّ من النور الصافي،
قدَّ من الورد المعجون من العنبر،
صيغ من المسك الأنور،

obeikan.com

تتخلله بعض الشامات السمراء،

يجثو فوق الشفتين، أو الشطين، قطعةَ مرجان شمَّاء،

وعلى الجنبين يمينًا ويسارًا يتدلى قرطان، نجمان،

يضيئان الدنيا من حوله،

يسبح ساعة يختلس النظرات إليها في ملكوت الله تعالى الأعلى،

يتدفق أنهارًا من شفقة،

ويذوب حنينًا للجنَّة،

يمتلئ يقينًا في الله القادر سبحانه،

يرجو يقترب،

يمتد بقلبه،

يعمره بحب يغمره،

يعود يقارب خطوًا نحو النجم، نحو جمال نادر، نحو الروح تدب نشاطًا من طلتها، من همسة عشق تتلوها، من نظرة كفٍّ دافئة.

يرتد سريعًا جدًّا، لا يقوى، لا يحتمل حلو اللمس، شُهد الجسِّ، بريق النور من الخدين.

يرسل جفنيه بطيئًا،

يخشى يخدش صورة مَلَكٍ زار عيونه،

ينزل من عينيه النور على قلبه،

obeikan.com

يردد: حقًّا،

يلهج بالحمد، وبالتسبيح،

يقول بكل لغات تحيا، أو ماتت:

"أنا بالحب قد عرفت الله"!

***

obeikan.com

(٤٣)

رؤيـــا

فـــي لـحـظـة صـيـف قـائـظ،
الـــنـــور فـظـيـع جـــدًّا،

يتراكم
يتكثّف
يوشك يحرق كل الأشياء،
يشتعل الشارع،
يغلي،
يتوقف عمل العقل،
تتداخل كل المعلومات،
تنطمس اللوحات المبهجة،
يُمْحَي السطر وراء السطر من الكتب،
يرتفع العلم من الصور، ويضل القلب،
تميد الدنيا، تتبعثر ذرات،
تندك حصون، وحصون،
تتفجر الشريانات من الأطهار،
تندلق الأمعاء، يتشظى العظم فتاتًا.

obeikan.com

يئن الأسفلت من الوجع، الحزن، القهر، الدم، الدكّ عليه،
ويصرخ، لا يرتد الصوت إليه.
يغيب عن الإدراك، يغشى عليه،
يختلط الأسود حزنًا، بالأحمر قهرًا.
ولأول مرة يعشق يومه!
تظهر له بعد هدوء الشمس الحانقة،
تتجلى من بعد الغبرة بيضاء مسالمة،
وتلوح عند الربع الرابع من ساعة عمره،
إذ يبقى في الكأس قليل من أيامه.
تفرغ زبدة ما في جعبتها،
تتلاشى من أجله،
توشك تتبخر.
وقف طويلًا جدًّا،
يتساءل: كيف انتشلت روحًا مهزومة؟
سكنت داخله،
اختالت أحزانه،
هزمت آلامه، ومخاوفه، القلق المتعاظم في صدره،
كيف أحالت كابوسًا هجم عليه؟
كيف أحالت فزع الحلم إلى رؤيا؟!

obeikan.com

(٤٤)

رِيٌّ

يهوى تحريف الأشعار ليرضيها.
يبدل بالكلمة لفظًا آخر،
يتحسس شيئًا خلف الألفاظ،

يجوس خلال الأسطر والفقرات،

يبحث عن معنى مستتر، عن سر النور الكابي، عن وهج منطفئ، عن روح عطشى.

ألهبها السعي ولا شيئًا تلقى..

يقتلها الوجع القاسي، حزن الأيام المرّة، الريح العاصفة، تخرج من ليل الوحشة، تصفق أبوابًا منكسرة، ونوافذ مقتلعة، ومرايا سئمت جدًّا من أن تعكس حسن الوجه، جمال الشعر المرسل منها، المتطاير فوق الكتفين.

تبدو عيناها مآتم للأشجار وللنخلات بطول البحر امتدت تصرخ فيه الأمواج، تزمجر، ترعد.

يتمزق رمل الشطآن،

يعلوها زبد تافه،

تتلوى تحته، ينتفض الرحم، وتسقط.

ثم تئوب..

obeikan.com

ثم يصادفها،

تتوقى عينيها،

تسدل شيئًا من ظلمة ما مرّ من الأحزان على عينيها،

تخشى الغوص بداخله، وتخشى الغوص بعيدًا عنه!

تستمرئ عطشًا صاحبها، قسوة أصحاب خذلوها، ريحًا منّتها بالأمطار وبخلت.

يبس الرحم الرابض فيها،

تتمزق،

يقتلها العطش، فتبحث عن نهر يطفئ لهفتها،

تتعثر فيه، فترجوه،

تتعلقه،

تهفو مسرعة نحوه،

تشرب وترتشف،

تتلذذ،

تلقى الرِيّ مقيمًا عنده بين يديه، وفي عينيه.

يعاود يهوى تحريف الأشعار،

ينشد شيئًا، يتردد في عمق ضميره:

أليس وعدتني يا قلب أني إذا ما تبت من مروى تتوب

فها أنا تائب من حب مروى فما لك كلما ذُكرت تذوب

obeikan.com

(٤٥)
الدَّقِيقَةُ الخَامِسَة والأَرْبَعُون

﴿أشـــــرقـــــت﴾ الـــنـــفـــس!
لـــيـــس كـــل الـــعـــمـــر ســـواء،
إذ يعتقد أن الخوف سلوك صعبٌ جدًّا،

يفرض أشياءَ، وأشياء،
يضع قيودًا، ويحاصر روح المرء الحر المتمرد،
يقهر شيئًا يهوى يتفلت منه،
يكسر كل قيود يبعثها العرف الفاسد، الحمق الأعمى،
فتنة الجهل المتراكم، عرق الأجساد المتزاحمة عند رصيف المحن،
سوق الناس إلى الذل سعيدة!
يسعى،
ينكفئ،
ينهض،
يسرع..
تتلوى الطرق أمامه.

obeikan.com

ارتحل إليها، قابلها،
صعد الدرج المفضي إلى مهجتها.
هشّ كثيرًا في صحبتها،
تجاوز قدر الأنس ببسمتها،
هاجر فيها،
حلّ مقيمًا في دمها،
سكن العقل النابه منها.
هدأت..
ذهب الوجع القاتل، الغيبوبة ساعة هجمت، واستولت.
عادت واحتلتها الإجراءات جديدًا،
فقدت معنى الحيوية،
انتابتها الصدمة.
يتعجب كل طبيب يفحصها!
لا يجدي معها ما يصف من الترياق.
مرّت نصف الساعة،
هلّ هلال النصف الثاني سريعًا،
حطّم الأفكار السوداء تهاجمها،
أشرق في الوجدان وجوده، أطل بداخلها، أحيا الموت.
بدأت تلمع في داخلها الأنوار،

obeikan.com

بدأت تعرف..

بدأت تدرك..

بدأت تشرق..

تتلألأ فيها الأقمار، الأشجار، الأزهار.

تعاود تحيا فيها الأفكار الطازجة،

تحدت الأوهام،

وتنتحر الأوزار،

وتنطلق الأطيار،

تغسل وجه الأرض الأمطار.

تأخذ يده،

تبدأ قصة عشق أولى معه،

تتهادى نحو الربع المتبقي من ساعته.

يدخل منعطفًا آخر حادًّا،

يختم بعد النصف الربع كذلك،

يفتتح العمرَ نشاط وافرٌ.

تقف الأزمان!

يعلن عدّاد الوقت المهدى إليه: جمود الإعصار!

يعلن نهائيًّا: كسر الأسوار!

obeikan.com

التعريف بالمؤلف

- خالد فهمى
- أستاذ بكلية الآداب، جامعة المنوفية.
- عمل رئيساً لدار الكتب والوقائق القومية سابقاً.

obeikan.com

فهرس المحتويات

إهداء ٧
(١) بقايا حلم من ليلة شتاء! ٩
(٢) زخة مطر ١١
(٣) عند النهر ١٣
(٤) ابتسامة ١٥
(٥) لقاء ١٧
(٦) رجفة ٢٠
(٧) بَـوْحٌ ٢٢
(٨) رِعْشَةُ المِيلاد ٢٤
(٩) ضياء ٢٧
(١٠) لَحْظَةٌ! ٢٩
(١١) شَوْقٌ ٣١
(١٢) ظنون! ٣٤
(١٣) أُمْنِيَّةٌ ٣٧
(١٤) أَلَـــمٌ ٤١
(١٥) نَـغَـمٌ ٤٤
(١٦) تَـدَلَّلِي! ٤٧
(١٧) تَرَاجُع ٥٠
(١٨) مخاوف ٥٣
(١٩) نَشْوَةٌ ٥٦
(٢٠) غِيَابٌ ٥٩
(٢١) رَحِـيلٌ ٦٢

obeikan.com

(٢٢) نـدى ٦٤
(٢٣) حيَاةٌ ٦٦
(٢٤) شَـهْوَةٌ ٦٩
(٢٥) أُمُومَةٌ ٧١
(٢٦) أُلْفَـةٌ ٧٤
(٢٧) لَهْفَةٌ ٧٦
(٢٨) تَرَدُّدٌ ٧٩
(٢٩) وَجَـعٌ ٨٢
(٣٠) دَمْـعَـةٌ ٨٥
(٣١) غُرْبَةٌ ٨٧
(٣٢) شُـعُورٌ ٨٩
(٣٣) استبداد ٩٢
(٣٤) عَـوْدَةٌ ٩٥
(٣٥) عـهدٌ ٩٨
(٣٦) وَحْشَةٌ ١٠١
(٣٧) حُـزْنٌ ١٠٤
(٣٨) نَـصٌّ ١٠٦
(٣٩) حَاشِيَةٌ ١٠٩
(٤٠) تعليقة ١١٢
(٤١) هامشٌ! ١١٤
(٤٢) إيمان ١١٦
(٤٣) رؤيـا ١١٩
(٤٤) رِيٌّ ١٢١
(٤٥) الدَّقِيقَةُ الخَامِسَة والأَرْبَعُون ١٢٤
التعريف بالمؤلف ١٢٦

obeikan.com